



محمد نبيل مليلين

السلطان الشريف - الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب

Centre Jacques-Berque

المقدمة

DOI : 10.4000/books.cjb.947

Éditeur : Centre Jacques-Berque, Faculté des lettres et des sciences humaines et sociales

Lieu d'édition : Rabat

Année d'édition : 2013

Date de mise en ligne : 17 octobre 2016

Collection : Description du Maghreb

EAN électronique : 9791092046311



<http://books.openedition.org>

Édition imprimée

Date de publication : 1 janvier 2013

Référence électronique

[en] **السلطان الشريف - الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب** : In **المقدمة مليلين، محمد نبيل.** ligne]. Rabat : Centre Jacques-Berque, 2013 (généré le 16 mai 2023). Disponible sur Internet : <<http://books.openedition.org/cjb/947>>. ISBN : 9791092046311. DOI : <https://doi.org/10.4000/books.cjb.947>.

Ce document a été généré automatiquement le 16 mai 2023.

المقدمة

مبدأ باطني. ولا تخرج على يعرف الجميع أنّ نظام الحكم الملكي يستند في كثير من الأحيان على حضارة الإسلامية عن هذه القاعدة. فالملك يعني خدمة الله ونبيه والأمة الإسلامية. ورغم أنّ الدولة الإسلامية قد عرفت أشكالاً عدّة للحكم فإن مؤسسة الخلافة ذلك الملك ذو الطابع الكوني تبقى في المخيال الإسلامي مؤسسة يقع تمثيلها في زمن نبوي بل إلهي. فإقامة الخلافة الراسخة أو إحياءها تعني الانحراف في هذا المنظور الإلهي باعتباره بحثاً دُؤوباً عن "هذا العصر الذهبي الذي كان سمة زمن النبي وصحابته والخلفاء الراشدين"¹²⁶. أن يجده سياسياً وهكذا أصبحت مؤسسة الخلافة "وعاءً" سياسياً وعدياً يستطيع أي مشروع رعن مسلكه، فيها ما يُش

1

وعلى غرار الأميين في الأندلس والفاتحيين والموحدين والمربيين اغترف البيت الريادي من هذا الوعاء ما ساعده على شرعة سلطنته وإضفاء القدسية على مشروعه السياسي وذلك لأنّ "السلطة لا تمارس على الأشخاص والأشياء إلا إذا تم الاتجاه إضافة إلى القوة". وكانت الادعاءات المهدوية لأوائل سلاطين¹²⁷ الردعية إلى أدوات رمزية وإلى المخيال" السلالة الحاكمة متساوية مع ادعاءاتهم الخليفة. وعلى عهد محمد الشيخ المهدى[1543-1557] بدأ العقيدة الخليفة في التبلور.

2

تأتي ألقاب هذا السلطان وعمله السياسي والعسكري والدبلوماسي لتأكيد هذه الفرضية. المهدى لقباً أمير المؤمنين والإمام. ويندرج [messianique] فينضاف إلى لقبه الانتظاري وصراعه السياسي ضدّ سليمان وملحقاته[اصرار السلطان الشريف على غزو تلمسان القانوني [1520-1566]] في هذا السياق. كان للعقيدة الخليفة لمحمد الشيخ ثلات وظائف هي إضفاء الشرعية على سلطنته داخل المغرب وأن تكون بمثابة الدرع الواقي ضد المطامح العثمانية وأن تُسند سياسته التوسعية. ومع ذلك يبقى جهاز الشرعنة الثلاثي الأبعاد الذي أوجده السلطان محمد الشيخ واعتمده خلفاؤه المباشرون جهازاً جنانياً وغير مفصل. ولن تتمّ بلورة جهاز الشرعنة هذا إلاّ على عهد ابنه أحمد المنصور وذلك بالتركيز حول خطابٍ متين يعتمد على ركائز ثابتة في أغليها.

3

إنّ الجهاز الخطابي الذي اعتمدته السلطان الشريف أحمد المنصور هو لغة ذات حوامل متعددة ومتطلقة من نفس المُسلّمة التي هي الخلافة. وسيقوم جهاز الدعاية السلطاني بإنتاج المعنى متحورا حول هذه "المُسلّمة-المؤسسة". وفي سبيل هذه الغاية تمّ وضع نظام كامل من التمثيلات كما تمّ تجييش العديد من الموضوعات "التقديسية" وذلك لإبراز المطامع الخليفية للسلطان. كان الخطاب والرموز والشارات والمراسيم هي الأسس المفضلة لإضفاء الشرعية على سلطة المنصور وإبراز قوتها. وهكذا تمّ الالتجاء ببراعة إلى المستمدّة من الثقافة الإسلامية بُعْبة التأثير في مخيلة أكبر المقولات والمفاهيم الكثيرة من عدد من الناس. فكلّ حامل من حوامل الشرعية يحدّد في ذاته طبيعة متلقي الرسالة السلطانية. وإذا كانت الحوامل المكتوبة قد تمّ تداولها من طرف النخب ولفائدها فإنّ حوامل أخرى مثل الهندسة المعمارية والسكنّة وخطب الجمعة والمناسبات الاحتفالية كانت تتوجّه إلى "عامة" الناس وذلك لِسَنٍ قراءة محددة للعالم ونظامه.

4

NOTES

126. Louis Gardet, *La cité musulmane vie sociale et politique*, p. 24.

127. Georges Balandier, *Le détour. Pouvoir et modernité*, p. 88.